



رسالة كاهن عن

البنولية

إلى أب راهب

رسالة كاهن عن
البتولية
إلى أب راهب

القمص يوسف أسعد

مقدمة

أشكرك ياربى يسوع المسيح ابن الله الحى أنك ارتضيت أن تكون لى أباً... بل دعوتنى أن أنادىك « ياأبانا » . أشكرك من أجل هذا التنازل غير الموصوف وهذا التواضع الكلى أنك وضعتنى لى رتبة عبدي ولا صديق بل ابناً محبوباً .

كما أشكرك من أجل أمومة الكنيسة عروسك لى . إذ لى كنفها منحتنى هبة الوجود فى أحضانها ، والتشرب بحبها لك ، والتعليم من خلال أمرارها وكل ممارسات حبها لك . وفى داخلها أريننى حبك الحقيقى كأب حقيقى تتعب معى أنا المريض الضال وتوجدنى من خلال أبوة آباء الكنيسة لى .

أشكرك من أجل أبوتك ، ومن أجل أمومة الكنيسة عروسك لى . فلتؤهلنى أن اشهد لك وأشرفك كإبن طبع ، وأن أقدم حياتى كلها ذبيحة حب لك من خلال أمى الكنيسة فأعطيها حبى وصحنى ووقتى وما لى وكل ما وهبتنى أو تهبنى إياه . وكلى ثقة فى أبوتك أن تمنحنى رؤية صادقة للملكوت كل زمان غربتى فلا يخبو من أمام عينى لحظة بل بمنحنى جهاد أولادك الحقيقين فلا أهدع بريق العالم الكاذب ولا حتى بريق مركز كنسى أرضى مؤقت . فإذ قد منحتنى نعمة الخروج من الكل للإتحاد بك أيها الواحد الحقيقى وحدك أحرستنى من الضلال

وامنحني فرح القفز على التلال فأعبر وديان سقطاتي وضعفاتي لا بحزن
بل برجاء لا يخزي ألك لا تشاء موت الخاطي مثلما يرجع ويتوب .
أمنحني سراجاً موقداً بتوبة العمر كله ، وفرحاً لا ينزعه مني أحد .
وجهاداً لا يهدأ في لحظات حناتك الإلهي الذي يستر الحروب عني حتى
ألتقط أنفاسي ... جهاداً أظل فيه بين يديك وبدي عروسك البهية مهما
عصفت بي الأنواء .

ياحبيب الخطاة التائبين ، أجعلني في موضع حبك .

يامعين الساقطين المجاهدين ، أسكب في طاعة إنجيلك .

ياهجة المكرسين الحقيقيين ، فرحني دوماً بديحتك في ومدبحك ..

ياغفة الأبرار البتولين ، إسمعني من أجل خاطر العذراء مريم أمك

وأمي ...

يارب إرحمني ، وارحم كل من يطلب رحمتك .

يارب إسمعني ، واستمع كل صوت استغاثة يطلب تخنك .

يارب باركني ، وبارك كل من يطلب بركتك . آمين .

الأب المبارك الراهب ... الانطوني

مبارك هو ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي فتح باب الملكوت

أمامك ، ومبارك هو أبينا العظيم الأنبا انطونيوس الذي أستلمك من يد

المسيح وأوجد لك مكاناً بين أولاده ...

مبارك هو قلبك البتول الذي صار مذوداً للحمل البتول ابن
البتول . الذي لما أراد أن يجدد خليقته ويردها إلى الملكوت انتظر أمنا
العدراء الذي أعطته كل عواطفها وكل كيائها الداخِل حتى أمثلت بحبه
وحنانه وصارت غير محتاجة إلى حنان زوج أو عطف إنسان ... انتظر
الرب هذا النموذج الشبعان بمحبته قبل أن يحل في أحشائها ليكرم هذا
النموذج العذراوي في العاطفة والعقل والجسد معا ... ولما جاء الكلمة
متجسداً ماراً برحمها البتولى لم يفض بتوليتها أيضاً ، لأنه يليق بالذي
خلق آدم الأول من أرض بكر أن يأتي كآدم الثاني مولوداً من دم عذراء
بكر وبتول ... على رأى القديس أغسطينوس فإن « السيد المسيح إذ
أراد أن يؤسس البتولية في قلب الكنيسة حفظها في جسد أمه مريم » .

والمسلم به إيماناً أن هناك علاقة ما بين طلب الاقتراب من الله
وحالة البتولية المكرمة . بل أن اعتقادي الراسخ أن مجيء ربنا يسوع
المسيح بتولاً من عذراء بتول هو إعلان لكنيسة العهد الجديد أن الزواج
لم يعد هو الطريقة الوحيدة للإنجاب والتنازل بل صار لكل بتول —
ينحل من الكل ليرتبط بالبتول الوحيد لأمه البتول — قدرة على الإنجاب
لا من دم ولا من زرع بشر بل من كلمة الله وشهادة الإنجيل ليصبح
له من البنين أكثر صلاحاً « لأنه مكتوب : افرحى أيتها (النفس) العاقرة
التي لم تلد . اهتفى واصرحتى أيتها التي لم تتمحصى فان أولاد الموحثة
أكثر من التي لها زوج » (غلا ٤ : ٢٧ + أش ٥٤ : ١) . لقد قال مار
بولس البتول تلميذ البتول « يا أولادى الذين أتمخص بهم إلى أن يتصور

المسيح فيهم ... « لاني أنا ولدتكم في المسيح » (غلا ٤ : ١٩ ، ١ كور
١٥ : ٤) .

أن الزواج قد صار عمل أثري دخل إلى المتحف بمجيء ربنا يسوع
المسيح البنول ابن البنول ... إلى أكرم الزواج كسر إلهي ، وكوزنة
أعطيت لي شخصيا رغم إشتياقي إلى البنولية ، وكموهية يمنحها
الرب ، بكهنوته الذي في لمئات من الناس كل عام ... وأعرف أيضا
أن المتزوج المخلص لله النقي القلب أفضل من الراهب غير المخلص لله
وغير النقي قلبه .

مع إيماني بذلك ، لكنني كما قلت لك أن الإفتراب من الله يرتبط بحالة
البنولية المكرمة .

وأسوق لذلك أمثلة من الكتاب المقدس لكي يكون الرأي لله وكلمة
شهادته ... فموسى النبي بعد هربه من بيت فرعون وجلوسه على يثر
مديان ومساعدته لنبات كاهن مديان « يثرون » ليستقوا وأغنامهم ...
بعد ذلك تزوج من « صفورة » الكوشية .. وعاشرها كزوجة وأنجب
منها إبنان جرشوم (أى التزبل في أرض غريبة) وأبعازر (أى إله
عوني) ... وبعد ظهور الرب لموسى في العليقة ودعوته للتلمذة في الجبل
أربعون سنة كاملة الفصل موسى عن حمية يثرون وزوجته وإبنيه وصار
في طقس البنولية حتى سن الثمانين من عمره ! . وبعد قيادة موسى
لشعب بني اسرائيل وخروجه من أرض مصر عرف بذلك كاهن مديان
فأخذ زوجة موسى وابنيها بعد انفصالهما عن موسى أربعين عاما وأتى

بهم مهتأ موسى يعمل الله فيه ؛ بتوليته ، واخراج الشعب من البحر الأحمر .. أتظن بعد من الثمانين سنة ومع أعباء رعاية شعب غليظ الرقبة وعناء السنون في البرية يعاشر زوجته ؟ ! ! (ان شئت راجع خر ١٦:٢ - ٢٢ ، ١:١٨ - ١٢ ، ١٣ - ١٥) . والتقليد القبطي الكنسي يحوى قصة لطيفة عن صفورة زوجة موسى التي انفصل عنها بسبب دعوة الرب والتصاقه به ، والتي اختبرت كآى امرأة حرمانها من زوجها ... أنها سمعت أن روح الرب حل على الداد وميداد (أن شئت راجع عدد ٢٦:١١) صرخت قائلة « يا لحزن زوجتى هذين الرجلين ! ! » لآل مفهومها عن الإلتصاق بالرب سببته الانفصال عنهما . (الستكسار) .

هناك مثال ثانٍ لذات المبدأ .. هو مثل سادقى الأباء الرسل الاطهار الذين دعاهم الرب فلم نسمع إلا هذه العبارة « تركوا كل شيء وتبعوه » (لو ٥: ١١) . وكلمة « كل » كان من ضمنها زوجاتهم ... والدليل على ذلك قول مار بطرس الرسول لسيدنا « ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا ؟ » . فكان رد مخلصنا يحوى بوضوح أن من بين ما تركوا تركوا زوجاتهم والعيشة الزوجية بكل أركانها إذ قال لهم « الحق أقول لكم : أنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد منى جلس ابن الانسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضا على إثني عشر كرسيًا تدينون أسباط اسرائيل الإثني عشر ... كل من ترك بيوتا أو أخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمى يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية » (مت ١٩: ٢٧ - ٢٩ ،

مر ٢٩:١٠ - ٣٠، لو ٢٨:١٨ - ٣٠) . ودليل ثانٍ هو قول مار بولس الرسول « أعل ليس لنا سلطان أن نحول بأخت زوجة كبقاى الرسل وأخوة الرب وصفا » (١ كو ٩: ٥) ، وكلمة « اخت » توضح تحول الزوجة فى حياة سادقى الآباء الرسل إلى أخت ترافقهم فى الخدمة ...

لست أعلم لماذا بدأت أمثلة الكتاب المقدس من المتزوجين وهناك فى العهد القديم من التوليين إيليا النبى من الرجال ، ومريم أخت موسى من النساء (خر ١٥: ٢٠) . وفى العهد الجديد يوحنا السابق الصابغ ، ويوحنا ابن زبدي التلميذ الذى كان يحبه الرب ، وبنات فيلبس المبشر العذارى الأربعة اللاتى حفظن بتوليتهن للرب فنالوا موهبة النبوة (راجع أع ٢١: ٩، ٨)

بل أعتقد أن منظر أى راهب أو راهبة أو شماس انجيلى بتول أو عذراء بتول فى الكنيسة الآن هو شهادة صامتة وحية عن الحياة فى ملكوت السموات التى نتظرها والتى قال الرب عنها « أما بنو هذا الدهر فيتزوجون ويتزوجن ، فأما الذين استحقوا ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يتزوجون ولا يتزوجن لأنهم لا يستطيعون أن يموتوا أيضا ، لأنهم مثل الملائكة ، وهم بنو الله ، إذ هم بنو القيامة » ! وقال أيضاً له كل المجد : « لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء » ! (راجع لو ٢٠: ٣٤ - ٣٦ ، مت ٢٢: ٣٠ على التوالى) .

وكلام سيدنا يوضح أن النموذج البتولي نموذج للحياة الملائكية ،
وللحياة العجيبة المنتظرة في الدهر الآتي ، وإعلان صادق للنبوة لله ...
وربما من هذا الفهم قال الآباء عن الرهبان أنهم بشر سمائيون أو ملائكة
أرضيون !

ياحبيبي ، أهنتك بالبتولية التي منحك الرب شرفها ...
أهنتك بالرهبة التي منحك الرب الارتباط بجهادها ..

فلتكن فرحاً بتوليتك التي وضعتها للرب على مذبح الرهبانية المقدسة ،
ولا تكن كبنيت يفتاح الجلعادي التي كانت تنوح على عذراويتها لأنها
سئمت قبل معرفة الزواج والامومة . (ان شئت راجع قض
٣٨:١١) .

كن فرحاً وباشاً ، لا في ظاهرك بل في عمق باطنك ، كل أيام
رهبانيتك بالرب الذي منحك البتولية المقدسة وتم بذلك قوله « ليس
الجميع يقبلون هذا الكلام . بل الذي أعطي لهم لانه يوجد حصيان
وولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد حصيان خصاهم الناس ويوجد
حصيان حصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل
فليقبل » (مت ١٩: ١٠ - ١٢) نعم : أفرح بهذه العطية الإلهية من
يد الرب ...

افرح ، لأنني أرى ابليس يحاول مع كثيرين من البتوليين والمكرمين
أن يترع فرحهم بالعريس منهم ... فيبدون بكآبة تنفر حتى من الله لأنهم
صورة له في وسط العالم ، وبدمامة تجعل ابليس ينجح في تخويف

الراغبين في تبعية الرب لانهم يرون السابقين في غم وكدر !!
نعم : أقول افرح عن عقيدة ، وبعمه الرب سأوضح لك لماذا تكون
فرحان فرح دائم في الظل الآن حتى تأخذ الفرحة الحقيقي في الحقيقة
عينا هناك ...

افرح لانك لم ترتبط بامرأة من جنس البشر ، بل ارتبطت بالعريس
الاهي مشتبه القديسين ... الذي يراه أشعيا النبي فينادي كل نفس
أخذت البتولية طريقا للملكوت قائلا : « ترعى أيتها العاقرة التي لم
تلد ... أشيدي بالترحم أيتها التي لم تمحض لأن ... بعلك هو صانعك
رب الجنود اسمه ووليك قدوس اسرائيل إله كل الارض يدعى ! »
(أش ١: ٥٤ ، ٥) .

افرح بالحقيقة لانك لم ترتبط ببشر ، بل صرت في رباط زيجتي مع
عريس أشتبهى من الكل !

افرح بهذا ، وافرحة أيضا لأنك ارتبطت بحالة السعادة الحقة ، أما
أبعد حالة رواج يسمع عنها في الأرض فلا تخلو من آلام كثيرة .. حتى
اللحظات التي تسمى لحظات السعادة في لذة المعاشرة الزوجية تنتهي
ليبقى بعدها حالة انحلال حقيقي في الجسد الذي من تكرار ذلك تذهب
قوته وتضيع نصرته ، لعل لذلك قال مار بولس البتول عن العذارى
الذين يتزوجوا « وان تزوجت العذراء لم تخطيء ولكن مثل هؤلاء يكون
هم ضيق الجسد ! » (راجع ١ كور ٧: ٢٥ - ٢٩) .

ناهيك عن أتعاب المشاركة في الزواج ، فالبتول حر في إرادته :
يأكل وينام ويلبس بحريته .. أما المتزوج فهو مرتبط في كل شيء ،
وارتباط الحرية بآخر يحرم الإنسان ثلاث أرباع حريته على الأقل !

وبينما يشبع كلا من الزوجين شريكه بأمان في اسعاد الآخر نجد أن
احتمال رحيل أحدهما قائم في الفكر والوجدان ، فالزواج يجعل كل منهما
نصف يكمل بالآخر وينقص برحيل الآخر ... أما البتولية فتحفظ
للإنسان وحدته الكاملة !

وفي الزواج ينتظر الآباء محيى الأبناء ، وفي سبيل ذلك كم يعاني
الزوجين أتعاب الحمل ، وأتعاب الولادة ، وأتعاب التربية ، وأتعاب
النضج . وان لم يعطى الآباء أبناء فكم يشكل ذلك في أكثر النفوس
نضجاً وتعقلاً أليماً داخلياً لا يوصف !! ؟

وفي الزواج كم يعاني أحد الطرفين من غيره الطرف الآخر ، وفي
محاولة للتكيف يفسر ذلك بأنه محبة زائدة ، مع أن المحبة من هذا الداء
براء !

وفي الزواج كم يرتك الإنسان باحتياجاته المادية : في تأثيث بيت
الزوجية ، وفي استمرار تأدية البيت رسالته ، وفي تلبية إحتياجات
أفراده ... ومن أجل ذلك كم تكون المعاناة ؟ !

في الزواج كم نسمع عن تكران الجميل وعن خيانات ، ولتبريرها
يقال أن صانعيها ناقصين في الشبع العاطفي والحنان والإحتياج
الجنسى !! ؟

في الزواج كم تعجبنا من زوج يرحل فترمل زوجته في سن مبكرة ،
أو زوجة ترحل فترمل زوجها في ريعان شبابه .. وهذا وتلك قد
يتركون وراءهم صوراً من أطفال وشباب يحتاجون إلى رعاية الأبوة أو
عطاء الامومة أشد الاحتياج وندخل بهم على سبيل الشفقة في سلسلة
من الخطوات التي لن تزيد هؤلاء الاطفال والشباب إلا جوعاً وحرماناً !
من هذا وغيره قد عثقتك الرب يا حبيبي ، وباركك وأعطاك هبة
البتولية السعيدة .

افرح بعريسك المحبوب دوماً ، وبعطيته لك ..

افرح لأن الرب قد وجد فيك السبب ليستريح ، لكنه ينتظرك
أن تقدم سبب السبوت ! ..

نعم : أنك دخلت القدس ، مبارك لك ذلك .. ولكن لا يوجد
مجد الرب إلا في قدس الأقداس !

قد أعطيت نعمة لتتشدد للرب نشيد البتولين (راجع رؤ
١٤ : ١ - ٥) ، لكن العروس والعريس مكانهما دائماً نشيد
الأناشيد !

† † †

لذلك فالبتولية والرهبة ليست فرحاً وكلاماً ، إنما جهاداً وضعت
قدميك على أول الطريق فيه ..

على رأى القديس مقاريوس الكبير ، ان البعض يتصورون أنهم صاروا قديسين بسبب امتناعهم عن الزواج وعن بعض أمور أخرى منظورة . ولكن الأمر ليس كذلك ، فان الخطية لا تزال تعيش وترفع رأسها في العقل والقلب . أما القديس فهو ذاك الذى يتنقى ويتقدس فى انساله الباطن ، (عظة ١٧ - فقرة ١٣) .

لقد قلت لك أفرح ، لأن الفرحان يعمل العمل المنطوب منه برغبة ، والرغبة لا تجعل أمامه مستحيلاً .. بل تولد فيه طاقة الجهاد عن هوىة وانسجام !

أن الفرح بعريسك وعطيته تدخلنا إلى الجهاد الكبير الذى ينتظرنا كعقيدة أيضا !

أن بتولية العينين : للنظر إلى الملكوت ، وإلى الشر ببساطة ، وإلى الخير بحكمة ، ولتتمعن فى كلام الرب وأقوال الآباء .. ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً .

وبتولية الفم : للحديث مع الرب باللسان الواعى ، ولإتقان التسبيح كلغة للسمايين ، وكلام النبيان ، وكلام التشجيع والتشديد ، ولحفظ كلام الرب وترديده ... ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً ...

وبتولية الأذن : لتسمع صوت الرب وتمييزه ، وسمع استغاثة الضعفاء ، وسمع مشورة الآباء ، ولتغلق عن سماع العثرة والأخبار العالمية التى تبعثر النفس من سكوتها .. ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً ..

وبتولية اليدين : لكي ترتفعاً مثلاً لتصليب إله الليل في الصلاة ،
وتتحققوا لتحمل عن الآخرين ألقافهم ، وتكتب للناس حياة لا خطايا
دردشة ، وتحمل لكل الأخوة الخدمة والعطاء لا سيما الشيوخ
والمرضى ... ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً ..

وبتولية القدمين : للمسير على دروب الآباء لا يهوى الإنسان ،
والمسير بإستقامة لا باعوجاج وحث ، واختار أقصر الطرق للوصول
إلى الهدف بنقاوة ... ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً ...

وبتولية الركبتين : لتقديم ذبيحة المسكنة والتدليل في السجود
بالروح ، وتقديم القوة المتزنة لحمل الجسد للقيام بأعباء الجهاد دون
تدليل ودون تحير ... ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً ...

وبتولية الجسد : للصوم المترن لا عن الطعام فقط بل وعن شعب
الحنس والزنا وعن الأفكار الساقطة ، ولوقار في الصحو والرفاد والمشى
والوقوف والجلوس ، وللحشمة والتأديب في الإعتدال أو اعلان
المشاعر ... ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً ...

وبتولية النفس : لكي تظل في هدوء لا تعرف قلق أو اضطراب
لشيء أو خوف شيء ولا الموت نفسه عدا موت الخطية وحده ، وتظل
شبعانة بحبيبا وعريسها ولا تلهث وراء كرامة أو درجة أو رتبة حتى
ولو كانت كهوتية ، وتظل رقيقة تحمل الرحمة أينما طلبت حتى ولو
كانت مع الحيوان غير العاقل ، وتظل شفافة لا تحجب عنها رؤية حبيبا

وملكوته يدخان حريق شهوات العالم الزائلة ... ليست بهذا كلاماً إنما
جهاداً ...

وتبوية العقل : لكي يخدم الإيمان ويقود للطاعة حتى لما بصور أنه
غير معقول وغير مستطاع ، ولكي يكون صادق في ورك ما للانسان
وما عليه ، ولكي يكون متسعاً لا يضيق بنقد أو دم أو حتى عداوة ،
ولكي يكون قوياً على تذكر إحسانات الرب ونسيان قساوة الناس ،
ولكي يكون متجدداً يحمل الجديد في المواقف حينما يستحكم الجمود
والجديد من الأفكار التورانية حينما تستبد الأفكار المظلمة ... ليست
بهذا كلاماً إنما جهاداً ...

وتبوية القلب : (أى الضمير والعواطف) لكي يظل للعريس
وحده ، ولعروس العريس وحدها ، ولكي لا يدخل إليه ندم على ما
يصوره لنا القتال أنه مفقود ، ولكي يظل تابعاً للرب وحده حتى ولو
تلمدنا على أصدقاءه ، ولكي لا يدخل إليه حين للناس والأسرة
والأقربين إلا ما كان حيناً روحياً خالصاً لا حناناً جسدياً ناقصاً ...
ليست بهذا كلاماً إنما جهاداً ...

وتبوية الروح : التي لا تملكها وبسبب انحطاط شهواتنا تندس
بكورتها فتثقل بخمار وسكر وشبع الجسد .. والتي تحتاج إلى تغذية
تفوق تغذية أجسادنا أو على الأقل تساويها ... والتي تحتاج إلى ريش
من التوبة بالدموع السخية والتهد الملائن رجاء لكي تحمل الجسد بضعة

إلى المبادئ الفوقية العلوية دوماً ... هذا الإحتياج لا يسده الكلام
إنما الجهاد .

إن وجودك في الدير مع أنه بقعة من الأرض إنما هو عربون فعلي
وحي للوجود في الملكوت ، وأسوار الدير وإن كانت من حجارة إنما
هي إعلان حي لأسوار أورشليم السماوية والقلاية التي منحك أبنا
أنطونيوس إياها وإن كانت من طين أرضي إنما هي نموذج حقيقي للمنزل
السماوي الذي وعد الرب به أب الرهبان وتلاميذه ... لذلك كما قلت
لألم أنطاسية في اليوم السابق مباشرة لدخولها الدير أقول لحضرتك
« قل للقلاية : أنت أبنى وأمى ، أختي وأختي ، ضبطي وحرיתי ،
تهدي وفرحي ، قبري وعرشي ! » .. قل للقلاية هذا الكلام وأثبت
ياأختي فيها ، ودخل أسوار ديرك ، فقد علمنا الآباء « الذي لا يثبت
في موضعه لا يستطيع الثمر البته » . أثبت في طقسك ، بطاعة لمرشدك
في المسيح حتى ولو إلى حد الموت .. فخير للمقاتل أن يستشهد في
الميدان من أن يتنعم في خيانة عدم الثبات في الموضع . وأحب أن تمثل
بأبونا المنتيح القديس بسطس الأنطوني الذي ثبت في موضعه من يوم
دخوله للدير وحتى رحيله للمجد ، مُخضعاً نفسه لكلمة ربنا على لسان
مار بولس الرسول البنول « الدعوة التي دعى فيها كل واحد فليلبث
فيها » (١ كو ٧ : ٢٠) وعلى لسان مار بطرس الرسول المتزوج أيضاً
« لذلك أجتهدوا أيها الاخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين لأنكم
أن فعلتم ذلك لن تزلوا أبداً لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول إلى
ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الابدي » (٢ بط ١ : ١٠ ،

(١١) . لاحظ هنا قول مار بطرس « اجتهدوا » ، فالثبات في الدعوة
والموضع كم يستلزم كل جهاد ؟ ! !

وعندما تجد صوت الكنيسة يناديك للمخدمة والنزول مرة أخرى فلا
تنسى قول سيدنا للآباء الرسل وحلماءهم من بعدهم « من يسمع منكم
يسمع مني » (لو ١٠: ١٦) .. وسيكون أمر شاق بعد أن تندرب
على الثبات في القلاية وسكون الدير أن تسكن العالم من جديد وتحتفظ
بجهادات بتوليتك وآداب السلوك الرهباني ... وهذا جهاد كبير
أيضا ...

كذلك فإن آداب السلوك التولي والرهباني أو الشكريسي بصفة عامة
ليست قيوداً تن من الإلتزام بها أو تحرمنا احساسنا بفرحنا وحرابتنا مع
العريس السماوي ... إنما هي ضمانات أساسية لبلوغ الملكوت تعاون
من يفهم هدفنا ، وتقديس من يسلك بها ، وتكامل نقص لابد أن يوجد
في نقصنا . كما أنها تعبيرة صافية قدمها آباء أكرموا الرب حتى الموت
توفر علينا مشقة الإرتجال وخطر السير مع كل ريح والإنقياد وراء هوى
النفس واللأس . وبذلك هي تمنحنا وقوداً لإشعال قلوبنا بحب من أحبنا
وأصرامه بتأد الإماتة كل يوم للذي مات لأجلنا ... وهذا كله
جهاد ...

لا أريد أن تصدم من جراء كلمة « جهاد » التي تعمدت
تكرارها ... إنما أريد كما فرح قلب المسيح والانبيا أنطونيوس وقلبي
بتولييتك ... أريد باسم ربنا يسوع المسيح والانبيا أنطونيوس أن تحتفظ

بتوليتك كل أيام رهبانيتك بجهاد وسهر وتعب تليق بمقاتل روجي دخل
إلى حلبة الحرب الروحية الدائرة من حولنا جميعا واذ هي غير مرئية
فهى أشد قسوة من الحرب المرئية .. وتزداد حدتها ليس عندنا فى المدك
والضجيج إنما فى سكوت الجبل وهدوء الزمان التى تحمل حياتها صرخات
مدوية لليقظة ضد عدو لا يعرف النوم ، والحرص من عدو يتقن
المباغنة ، والهروب من عدو لا يهدأ من الهجوم ، والتواضع الذى لسيدنا
يسوع المسيح المتواضع الحقيقى وحده لتقدمه للذى يمتحننا ، إياه داخلنا
لنعطيه للناس الصالحين والأشرار حتى للشياطين أيضا !

لتعلم يا أحمى أنك دخلت بفرح التولية إلى جهاد لن ينتهى إلا بسكون
الجسد فى الظافوس وراحة الروح فى حصن مخلصنا الصالح .

دخلت إلى بدء الطريق .. الطريق الطويل ... الطويل ... الطويل
جداً . والضيق والمعزى معاً ، والكرب والمفرج معاً . لأنه طريق
الصليب والاكليل معاً . . . فى هذا الطريق الطويل مستقل من جهاد
إلى آخر . . . فجهادك الخاص المرتب بمشورة مرشدك مع عمل الجمع
وخدمة الآباء بداية تقود إلى جهاد الثبات فى القلاية وعمل سكوت الأيام
كبداية أخرى لسكون الأسابيع الذى يفتح باب الجهاد لتلمذة الوحدة
داخل الدير كبداية راحة لتلمذة الوحدة خارج الدير بعض الوقت وهذا
يقود إلى بداية جهاد خارج الدير كل الوقت . . . وهكذا تقضى العمر
كله فى طريق طويل أشكال الجهاد فيه متنوعة . . .

ولعلك تشهد فى أعماقك كم أحييتك فى المسيح . . .

ولكن الله الذي خلق فينا كل شيء جعل كل عواطف النفس
صالحة ، وعاطفة الحب التي فينا نحن نحافظ منها كثيرا ...

فالحب يحتاج إلى فهم وتنظيم على رأى العلامة أوريجينوس ... لأننا
نحب أولاً ما كان ينبغي أن يأتى بالياً أو ثالثاً ، وما تجعله في ترتيب
محتسا ثلث أو ثالث كان ينبغي أن يأتى أولاً ...

لقد طالبنا الرب أن نعطيه هو أولاً « كل القلب ، وكل النفس ،
وكل القدرة » ثم نعطي حب للآباء والأخوة والأبناء والخدم بنظام .
ولكن ان أحببنا الناس قبل الله أفليس ذلك الخراف في الحب ؟ !

عاطفة الحب تزدهر فينا عندما نحب الحكمة والحق الإلهيين ... وتتحرف
فينا عندما نجعلنا نحب اللحم والدم .

حتى الحب الزيجي وضعه الرب بضابط ... المتزوجون يحبون اللحم
والدم بينما الإنجيل يوصي الرجال « أحبوا نساءكم كما أحب المسيح
الكنيسة » (كور ١٩:٣) والمسيح أحب الكنيسة حباً روحياً خالصاً
تأسس على حكمة أسراره الإلهية السبعة وحق الإنجيل المسلم بالدم
المسفوك شفاهاً وكتابةً ! !

وبيتاً الرب يأمرنا بمحبة القريب مثل نفوسنا (مت ٢٢:٣٧ - ٣٩)
فإيه لم يطلب منا ذلك بالنسبة للأعداء بل قال فقط « أحبوا أعداءكم +
أى يكفى أن نتمنى الخير ونصنعه لأجلهم دون أن نكرههم ...

ان الرب الذي هو الحب يعلمنا النظام حتى في الحب ...

كتبت اليك هذا كله لتعرف أن محبتي لك ، كما تعرف للجميع ،
أصلي أن تكون روحية تعاونك على جهادك لا تعطلك ... فاعذرتني إن
لم أكتب لك خطابات عاطفية أو أخبار من العالم أعرف تماما أنها تحول
الراهب إلى دوامات تشبه التي تتكون من جراء إلقاء حجر في مياه
ساكنة هادئة وأعذرتني أيضا ان كنت آتى الدير آخذ بركة من أنبا
أنطونيوس والآباء دون أن أطلب رؤياك ما لم تطلب أنت ذلك ...
على رأى القديس مار اسحق أسقف نينوى « إن النظر إلى العلمانيين
وحده قد يؤذى المتوحد ، ليس النساء فقط بل والرجال أيضا » لكننى
مستعد لأى خطاب تعزية ، يفرح قلب المسيح وقلبينا ، كما آتى مستعد
لأى عمل محبة تأمرنى به لا يعيق جهادك ولا يعطل سعيك ... ولا
تنسى أن ذلك يمثل جهادى أنا أيضا ...

فليعيننى الرب واياك لنجاهد حسناً وقانونياً ، وليجعل الرب بتوليتك
وجهادك بركة لضعفى وانحلالى وبركة للكنيسة والرهينة ...

أعانك الرب وضعفى إلى ما دعانا اليه ، ووقفنا للملكوت كما وفق
قديسيه وأبراره يشفاعة أمنا العذراء مريم وبركة أيننا أنبا انطونيوس ...
أذكر ضعفى دائما فى صلاتك ، وأوصى الآباء إن يصلوا عن مريض
ضال مع أنه يحمل كهنوت المسيح . أذكر جهادى دائما فى صلاتك ،
فقد لمست عن قرب خطورة ما أنا فيه ، وأخطر الخطورة أن أحرم من
المسيح والملكوت بسبب العمل الرهيب والدم المؤمن عليه ...

أذكر أسرتي دائما في صلاتك ، لتكون بركة للكنيسة وأكون أنا
بركة لها ومعاوناً لها للسماء ..

أذكر الكنيسة والخدمة وأخوتك جميعا ، فقد لمست احتياجها لخدام
أمناء يحملون الإنجيل ويستودعونهم بأمانة للأجيال الآتية من بعدنا .
فاذكرني يا أخي ومستولياني ، كما أني لا أنساك قدام مديح الله .

القمص يوسف أسعد

أول نسيء ١٦٩٤

١٩٧٨/٩/٦

الحياة الصالحة
أيام معدودات
أما الاسم الصالح
فيدوم إلى الأبد
(سبح ١٢١)

نشرنا رسالة أبوتنا إلى الأب الراهب ،
ووجدنا رسالة من نفس الأب الراهب ردا
عليها ننشرها أيضا :

أبي الحبيب الغالى

بعد تقبيل أياديكم الطاهرة .. ، وطلب صالح دعواتكم . لا
أستحق ... لا أستحق أن تعيرنى كل هذا الاهتمام يابى ... فما أنا
إلا حقير نخرج يطلب وجه الرب .

عندما تغمرنى بحبك ... أخجل لأنى أتذكر ذلك الحب الإلهى الذى
ليس له مثيل وأنا لا أقدم نظيره شيئا ... حتى الوصية أكسرها
بإرادتى ... فياويلي وشقائى ... إلى متى يرتفع عدوى إلى ؟ أكتب بشهد
هذا لكى تذكر ضعفى أمام الله ... أشكر قداستكم جزيل الشكر على
ذلك الخطاب المعزى فى حينه . ولكنى أردت أن أتحدث مع قداستكم
فى بعض أقواله حتى تعرف وتثق من عدم استحقاقى لذلك الحب الزائد
من اليبوع الفاضل الذى لقداستكم ...

تقول قدسك أن اخبار العالم تحول الراهب إلى دوامات تشبه النى
تتكون من جراء القاء حجر فى مياه ساكنة هادئة . حقيقة يابى هذا
الكلام لا غش فيه أبداً ، لكنه بالنسبة للراهب ، أما حقارنى فحتى الآن
لم أترهب ... فما أنا إلا خادم فى الدير يحاول أن يأخذ بركة الآباء
وصلواتهم ... وهذا الخادم « ضعفى » يلتقى بالعلمانيين وأحاديتهم
يومياً عشرات المرات ...

أمر ثان قداستك في آخر الخطاب كتبت « ياأخي » كيف تقول هذا
ياأني ؟ أنسيت ذلك الانسان الذي ربيته بنفسك في المسيح يسوع ..
ان كنت بتواضعك قبلت هذا لكن ضعفى لا يقبل .. فلست مستحقا
لهذا اللقب فضعفى ابن لقداستكم على الدوام .

برجاء مزيد من تلك الخطابات ، وبالييت قداستكم ترسل لى مثل
هذا الخطاب كل شهر لكى أتعزى بكلمات الرب الخارجة من فمكم
رفيقة مريحة معزية شافية لكل كلوم نفسى ..

.....

أقدم لقداستكم شكرى ومحبتى لأجل تعب محبتكم المتواصل
بيارككم الرب من قدمه ويعينكم فى خدمتكم وجهادكم من أجل كلمته
بشفاعة أمى العذراء مريم والانبا أنطونيوس وكل مصاف شهداءه
وقديسية .

صلى لاجلى . ياأني أمام ربنا يسوع المسيح ،

١٩٧٨/٩/١٤

٤ توت ١٦٩٥

ابنكم الضعيف

.....

دعانا قداسة أينا القمص يوسف أسعد
لترتيب مكتبته ، وفي أثناء ذلك وجدنا
هذه الرسالة وغيرها ، في دوسيه
خاص ، نشرها بالتوازي بعد استئذان
وموافقة قداسه ،

أميرة الكرنارية
بكنيسة السيدة العذراء
بالعمراوية

طاب من

مكتبة كنيسة السيدة العذراء بالعمراوية

ث : ٣٧٨ . ٥٠٨